المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف والغرب

تأليف: السيد سامي البدري

إصدارات مركز فجر عاشوراء الثقافي- التابع للعتبة الحسينية المقدسة
١٤٤٥-٢٠٢٤هـ

مركز فجر عاشوراء الثقافي

التابع للعتبة الحسينية المقدسة - قسم الشؤون الفكرية والثقافية

العراق - النجف الأشرف

حي الغدير

هاتف : ٩٦٤٧٧٢٨٢٢٠٥٤٣+

fajrashura@fajrashura.com

عنوان الإصدار	:	المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف والغرب
تأليف	:	السيد سامي البدري
سنة الإصدار	:	١٤٤٥/٢٠٢٤ - رقم (٥٢)
نوع الإصدار	:	إلكتروني - PDF
الناشر	:	مركز فجر عاشوراء الثقافي
الموقع	:	fajrashura.com

جميع الحقوق محفوظة © لمركز فجر عاشوراء الثقافي، يُسمح بالنَّشر غير النفعي الإلكتروني ويسمح بالاقتباس مع ذكر المصدر ولا يسمح بتغيير جزء من أجزاء هذا الملف او طباعته في المطابع دون إذن رسمي من المركز

وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ
أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾
إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً
لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ
مُسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ
أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا
تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿١١١﴾ قَالَ
رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَانُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

الأنبياء/ ١٠٥-١١٢

مقدمة المركز ٥

المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف المنتظر والغرب ٨

تمهيد ٨

المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف كما تعرضه المصادر الشيعية ١٢

الغرب كما يعرض نفسه ويراه العالم ٢١

الانحراف الفكري و مواجهته إلهياً ٢٧

علم الشيخوخة (Gerontology) ٣١

علم الآثار القديمة (Archaeology) ٣٦

هل سيستخدم المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وسائل الإثبات الاركيولوجية لإثبات عمره الطويل؟ ٤٤

كيف تصون العقيدة بالمهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف الشيعة في عصر الغيبة من الانبهار بالغرب؟ ٥٥

مقدمة المركز

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين.

قال الإمام الجواد عليه السلام مخاطباً عبد العظيم الحسني: «إنّ القائم منّا هو المهدي الذي يجب أن ينتظر في غيبته، ويطاع في ظهوره، وهو الثالث من ولدي، والذي بعث محمداً بالنبوة وخصّنا بالإمامة انّه لو لم يبق من الدنيا إلاّ يوم واحد لطوّل اللّه ذلك اليوم حتى يخرج فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وانّ اللّه يصلح أمره في ليله كما أصلح أمر كليمه موسى ليقتبس لأهله ناراً فرجع وهو رسول نبي» ثمّ قال ـ عليه السَّلام ـ: «أفضل أعمال شيعتنا انتظار الفرج».[1]

***

يتناول العلامة البدري في هذا البحث الطُّرق المتصوَّرة والقريبة من الواقع التي تنسجم مع طبيعة

(١) الصدوق، كمال الدين، ج ١، ص ٣٧٧.

الأشياء التي يمكن أن يتخذها الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف لإثبات عمره الطويل للعالم، وجاءت دراسة هذه الطرق بالنظر إلى أن الغرب قد تسلح بعلوم تمكنه من تقدير عمر الأشياء حين انفتح على علم الآثار وسائر العلوم المساعدة له وقدّم تفسيرا ماديا لنشأة الإنسان وحركة التاريخ مقطوع الصلة عن الصانع الحكيم، واتخذ من اكتشافه لتلك العلوم سبيلا للغلو في الابتعاد عن الدين وخط الأنبياء ونشر ذلك التفسير المادي للكون والحياة، وانطلاقا من هذا الواقع يأتي ظهور المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف كآية هادية للناس ومُنقذة لهم من الضلال والانحراف الفكري المادي الناتج عن الانبهار بالعلم، باعتبار أن مظهره عجل الله تعالى فرجه الشريف حين الظهور سوف يخرق القوانين الطبيعية التي تعرَّف عليها البشر في علم الشيخوخة (Gerontology) وهي أن مرور الزمن على الإنسان يحدث فيه تغييرات في وظائف الجسم وأخرى نفسية سلوكية واجتماعية، فإن المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف على الرغم من تجاوز عمره عشرات القرون ولكنه قد توقفت عن التأثير فيه عوامل الشيخوخة وذلك بإذن الله.

وقد القى العلامة البدري هذا البحث

«المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف والغرب» في محاضرة ألقيت في المجمع البحراني في قم المقدسة عام ١٤١٠هـ، وقد طبع ضمن كتاب مجموعة مقلاته حفظه الله بعنوان: «بحوث في الفكر المهدوي» سنة ٢٠٢٤.

د. السيد حسين البدري

م. وحدة الأبحاث العلمية والإصدارات العامة

شعبان ١٤٤٥ هجرية

٢/ الموافق لـ ٢٠٢٤

المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف المنتظر والغرب

هل سيستفيد مهدي آل محمد صلى الله عليه وآله عند ظهوره من طرق تقدير عمر الأشياء القديمة في علم الآثار (Archaeology) ومعطيات علم الشيخوخة (Gerontology) لإثبات عمره الطويل وعدم تأثير الزمن على جسمه ببقائه شابا رغم القرون المتطاولة ومن ثم بلورة معجزته التي ميزه الله تعالى بها وهي معجزة عند ادراك الشعوب لها سوف تبطل انبهارهم بتكنولوجيا الغرب وعلومه هذا الانبهار الذي صد الغرب والمتأثرين به عن ذكر الله تعالى وأشاع فكرة العلمانية والمادية ، مضافا إلى ذلك سوف تفتح المعجزة الطريق إلى الله من جديد في تلك الشعوب.

تمهيد:

أولا: ان تصور خاتمة سعيدة للإنسانية على الأرض ومستقبل عادل لها وخلاصها من كل ألوان الظلم

والانحراف أمل منشود وفكرة محببة تبنتها الأديان السماوية وبشرت بها على أنها قدر محتوم تتحرك البشرية نحوه وتصل إليه.

ولم يقتصر الإيمان بهذه الخاتمة السعيدة للإنسان والتبشير بها على المؤمنين بالأديان السماوية فحسب «بل امتد إلى غيرهم أيضا وانعكس حتى على اشد الإيديولوجيات والاتجاهات العقائدية رفضاً للغيب والغيبيات كالمادية الجدلية التي فسرت التاريخ على أساس التناقضات وآمنت بيوم موعود تصفى فيه كل تلك التناقضات ويسود فيه الوئام والسلام».[1]

ولا زالت المصادر الكتابية المعاصرة للتوراة وكتب الأنبياء والأناجيل الأربعة والرسائل الملحقة بها وبقايا كتاب زردتشت (الاوستا) تحتفظ بعدد من النصوص التي تتحدث عن الفكرة، نعم هي قليلة اذ لا تتجاوز على اكثر تقاديرها العشرين أو الثلاثين نصاً.[2]

أما المصادر الإسلامية السنية فالنصوص فيها

---

(١) الشهيد الصدر، بحث حول المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ص٧ ط دار التعارف.

(٢) انظر رسول الإسلام في الكتب السماوية ص ٢٢٣-٢٧٠ فان مؤلفه أورد نماذج عدة.

كثيرة جدا اذ تتجاوز الخمسمائة ومفصلة حيث ذكرت اسم القائد الذي يتحقق الأمل العظيم على يديه ولقبه الذي يعرف به و البيت الذي ينجبه والكتاب السماوي الذي يتخذه منهجا، كما عرفت بكثير من الإرهاصات العامة التي تسبق ظهوره إضافة إلى سمات عصره ومجتمعه وسيرته فيه.

أما المصادر الإسلامية الشيعية فالنصوص فيها تصل إلى خمسة آلاف أو اكثر، حيث تبلغ الفكرة درجتها النهائية في الوضوح والتفصيل كنظرية وأطروحة لخلاص الإنسانية من الظلم. ولم يعد المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف في ضوء المصادر الشيعية فكرة ننتظر ولادتها ونبوءة نتطلع إلى مصداقها «بل واقعا قائما ننتظر فاعليته وإنسانا معينا يعيش بيننا بلحمه ودمه نراه ويرانا ويعيش مع آمالنا وآلامنا ويشاركنا أحزاننا وأفراحنا ويشهد كل ما تزخر به الساحة على وجه الأرض من عذاب المؤمنين وبؤس البائسين وظلم الظالمين ويكتوي بكل ذلك من قريب أو بعيد، وينتظر بلهفة اللحظة التي يتاح له فيها أن يمد يده إلى كل مظلوم وكل محروم وكل

بائس ويقطع دابر الظالمين».[1]

ثانيا: ويهمنا جدا نحن أبناء هذا الكيان الذي عرف المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وآمن به وبايعه وأقام بناءه الفكري وعمله الاجتماعي والسياسي على الإيمان بالمهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف شخصا ولد وقائداً باشر التوجيه والتربية والتخطيط لشيعته وأنصاره يهمنا جدا أن نتعرف على أطروحة المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف كما عرضها أهل البيت عليهم السلام، وبكل تفاصيلها وان نتعرف على مسيرة الكيان الذي حمل هذه الأطروحة وارتبط بها ارتباطا مصيريا وعلى المشكلات التي تواجهه أو تهدده وهو يحمل تفاصيل اعظم أمل تبتغيه البشرية وتنشده للحياة الحرة الكريمة والخلاص من الظلم نهائيا.

ولا يوم أفضل من يوم الخامس عشر من شعبان نتخذه موسما لدراسة ذلك كله. كيف لا يكون كذلك وهو اليوم الذي ولد فيه المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف سنة ٢٥٥ هـ.[2]

---

(١) الشهيد الصدر، بحث حول المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

(٢) تذكر اغلب الروايات أن ولادته عجل الله تعالى فرجه الشريف كانت في ١٥ شعبان وهناك رواية يوردها الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة تذكر انه ولد في الثامن من شعبان.

وهو أيضاً اليوم الذي ختمت فيه المرحلة الأولى من عمله مع قواعده وشيعته سنة ٣٢٩ هـ.[١]

وهو أيضا اليوم الذي تعرضنا فيه للاختبار الصعب والامتحان العسير حين أصبح المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف مغيبا عنا لا ندري أي أرض تقله ولا نعلم بأي حال هو سوى انه طريد شريد موتور بابيه.

وهو أيضا اليوم الذي تحمّل فيه الشيعة عبر علمائهم مسؤولية مواصلة المسير على أساس منهج المهدي وآبائه عليهم السلام / كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله برواية أهل البيت عليهم السلام / وكذلك مسؤولية المحافظة على هذا المنهج والوقوف بوجه المحاولات التحريفية التي تحاول احتواءه.

المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف كما تعرضه المصادر الشيعية:

يعرض المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف في المصادر الشيعية كجزء من مخطط الهي شامل أوحاه الله تعالى إلى خاتم أنبيائه محمد صلى الله عليه وآله كما أوحي إليه القرآن وبيانه استهدف هذا المخطط الإشراف على مسيرة الإسلام

(١) حيث كانت وفاة النائب الرابع علي بن محمد السمري يوم ١٥ شعبان سنة ٣٢٩ هـ.

بعد الرسول صلى الله عليه وآله وصولا بها إلى موقعها المشرق المستوعب للعالم أجمع وفيما يلي خلاصة بهذا المخطط وسيرته الواقعية.

أ. تعتبر رسالة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله الصيغة الشاملة لدين الله تعالى الذي بعث به أنبياءه عليهم السلام الذين كانوا يبشرون بالنبي الخاتم صلى الله عليه وآله ويأخذون العهد من أممهم على الإيمان به ونصرته إن أدركوا زمانه وأيامه، وأراد الله تعالى للإسلام ممثلا بالقرآن الكريم والسنة المطهرة ان يستوعب كل طموحات الإنسان وان يساير تطوره المبدع متجهاً به إلى الخاتمة السعيدة التي بشره بها ودعاه إليها.

ب. لم تكن ظروف تبليغ القرآن الكريم والسنة وتكوين الأمة خالية من أخطار مستقبلية تهدد الرسالة والأمة معاً، كما انه لم يكن العمر المقدر لخاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله - وهو قصير نسبيا - كافيا لمواكبة انفتاح البشرية كافة على الإسلام وتحقيق الحلم الكبير الذي بشرت به حركة النبوات ومن هنا كان لابد من تكفل أمر المحافظة على الرسالة: من خطر التحريف الذي يتهددها من الداخل وأمر رعاية الأمة المهددة بخطر الانحراف لتشق طريقها نحو استيعاب العالم

على أساس النبوة الخاتمة و تراثها الصحيح، وقد ادخر الله تعالى لهذه المهمة اثني عشر وصياً من عترة النبي صلى الله عليه وآله، وبلغ النبي صلى الله عليه وآله بأمر الله تعالى امته بعدّتهم قائلا «الأئمة من بعدي اثنا عشر»[1] وقال «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا. كتاب الله وعترتي أهل بيتي وقد أخبرني اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض».[2]

ج. مهد النبي صلى الله عليه وآله لهذا المخطط الإلهي حين ركز بصفة خاصة على علي عليه السلام بصفته أول الأوصياء وحجر الأساس الفكري للمخطط كله، وعلى شهادة الحسين بصفتها حجر الأساس للإطار الاجتماعي والسياسي للمخطط كله وعلى المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف بصفته وارث المخطط كله الذي يستوفي كل أغراضه وعلى يده تستكمل البشرية انفتاحها على الإسلام الصافي الذي جاء به محمد صلى الله عليه وآله، وقد كتب علي صلى الله عليه وآله في صحف من الجلد عن رسول الله صلى الله عليه وآله مباشرة في لقاءاتهما الخاصة المعروفة بين

---

(١) مسلم، صحيح مسلم: ج٢ - ق١ / ص١٩١، كتاب الامارة، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش، طبعة مصر، سنة ١٣٤٨ هـ.

(٢) الترمذي، سنن الترمذي: ج٥ / ص٦٦٢.

المسلمين كل السنن التي يحتاجها الناس إلى يوم القيامة وكل الملاحم والفتن التي سوف تقع بعد الرسول صلى الله عليه وآله والموقف المناسب منها، وتوارث الأوصياء الاثنا عشر هذه الكتب وكانت الأساس لعملهم الفكري والمرشد لعملهم السياسي.

د. تعرضت الرسالة والأمة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله للأخطار وكانت حياة الأوصياء وقفا على تنفيذ المخطط الإلهي المرسوم لحفظ الإسلام ورعاية الأمة وشرح كيفية ذلك له مقام آخر.

هـ. أفرز عمل الأئمة الأحد عشر عليهم السلام خطا فكريا واجتماعيا وسياسياً في الأمة يحمل الإسلام كما رواه علي عليه السلام وطبقه، وقد حمل هذا الخط الاسم الذي اطلقه رسول الله صلى الله عليه وآله على المؤمنين بعلي عليه السلام وموقعه من الإسلام كما أراده الله ورسوله وهو اسم شيعة علي (أو أولياء علي عليه السلام) حين قال رسول الله صلى الله عليه وآله «يا علي انت وشيعتك الفائزون يوم القيامة» ثم عرف الخط بالشيعة مطلقاً. وقد ربى الأئمة عليهم السلام الشيعة على التفجع لظلامة الحسين عند ذكره وفي أيام المحرم خاصة ويوم العاشر بشكل اخص وحثوهم على إقامة مجالس العزاء حتى كانت ولا تزال الصفة

الأولى للشيعة وكذلك ربوهم على انتظار قائم آل محمد المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وعبأوهم ان يكونوا جيش المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وأنصاره وأعوانه وصارت صفة الانتظار ولا تزال الصفة الثانية التي يعرف بها الشيعي.

والمهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف هو محمد بن الحسن العسكري عليه السلام المثنى وهو الوصي الثاني عشر الذي قال عنه النبي صلى الله عليه وآله:

- «اسمه اسمي».[1]
- «من ولد فاطمة».[2]
- «من ذرية الحسين».[3]

---

(١) المفيد، الإرشاد: ج٢/ ص٣٤٠.

(٢) قال رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام: (المهدي من ولدك). الحديث الرابع من أربعين الحافظ أبي نعيم. ابن أبي الفتح الاربلي، كشف الغمة: ج٣/ ص٢٦٧.

(٣) حديث حذيفة بن اليمان قال: «خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله فذكرنا بما هو كائن، ثم قال: لو لم يبق من الدنيا إلاّ يوم واحد، لطول الله عزّ وجلّ ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً من ولدي، اسمه اسمي. فقام سلمان الفارسي رضي الله عنه فقال: يا رسول الله! من أي ولدك؟ قال: من ولدي هذا، وضرب بيده على الحسين». راجع: ابن القيم، المنار المنيف: ص١٤٨، ص٣٢٩ فصل ٥٠، عن الطبراني في الأوسط، وعقد الدرر: ٤٥ من الباب الأول وفيه: (أخرجه الحافظ أبو نعيم في صفة المهدي)، ذخائر العقبى: ص١٣٦، وفيه: (فيحمل ما ورد مطلقاً فيما تقدم على هذا المقيد)، فرائد السمطين ج٢/ ص٣٢٥، ص٥٧٥ باب ٦١، ابن حجر، القول المختصر: ج٧/ ٣٧ باب ١، فرائد فوائد الفكر: ج٢

ـ«يملأ الدنيا قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجوراً»[1].

وقد ولد سنة ٢٥٥ هجـ، اضطلع بمهمته الرسالية بعد وفاة الإمام الحسن العسكري عليه السلام سنة ٢٦٠ هجـ، وله من العمر خمس سنوات [2] مارس التوجيه الفكري والسياسي والتنظيمي للشيعة لمدة سبعين سنة تقريبا عبر السفراء الأربعة المتعاقبين وعبر وكلاء آخرين أسس خلال هذه الفترة المعروفة بالغيبة الصغرى علاقةً محكمة بينه وبين شيعته وشيعة آبائه غير قابلة للفسخ بمرور الأيام وتقادم الأزمنة فحسب بل تزداد بمرور

/ باب ١، السيرة الحلبية: ج١ / ص١٩٣، ينابيع المودة: ج٣ / ٦٣ باب ٩٤، وهناك أحاديث أخرى بهذا الخصوص في مقتل الإمام الحسين عليه السلام للخوارزمي الحنفي: ج١/ ص١٩٦، فرائد السمطين: ج٢/ ص٣١٠ـ٣١٥، الأحاديث ٥٦١ـ٥٦٩، وينابيع المودة ج٣/ ص١٧٠، ص٢١٢ باب ٩٣ وباب ٩٤. ومن مصادر الشيعة أنظر: كشف الغمة: ج٣/ ص٢٥٩، وكشف اليقين: ص١١٧، واثبات الهداة: ج٣/ ص٦١٧، ص١٧٤ باب ٣٢، وحلية الأبرار: ج٢/ ص٧٠١، ٥٤ باب ٤١، وغاية المرام: ص٦٩٤، ١٧ باب، ١٤١، وفي منتخب الأثر الشيء الكثير من تلك الأحاديث المخرجة من طرق الفريقين، فراجع.

(١) رواه أبو داود (٤٢٨٢) واللفظ له، والطبراني (ج١٠/ ص١٣٥) بلفظ: (ليلة) بدلا من (يوم).

(٢) هذا الأمر من مختصات الشيعة، وله سابقة في عهد الإمامين الجواد والهادي عليهما السلام.

ذلك عمقا ورسوخا وتضطرم أفئدة شيعته حباً وشوقا لا نظير لهما بين قائد واتباعه فصلت بينهم الليالي والأيام والدهور كما فصل بين المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وشيعته، حب وشوق تدمع العيون لأجله وتحترق القلوب بناره كيف لا يكون ذلك وهم يرددون آناء الليل وأطراف النهار في دعاء الندبة المعروف «ليت شعري أين استقرت بك النوى؟ بل أي أرض تقلك أو ثرى؟ عزيز علي أن أرى الخلق ولا ترى، ولا أسمع لك حسيساً ولا نجوى؟ بنفسي أنت من مغيب لم يخل منا، بنفسي أنت من نازح ما نزح عنّا، بنفسي أنت أمنية شائق يتمنى من مؤمن ومؤمنة ذكرا فحنا!.... هل قذيت عين فساعدتها عيني على القذى، هل إليك يا ابن أحمد سبيل فتلقى، هل يتصل يومنا منك بغده فنحظى؟ متى نغاديك ونراوحك؟ متى ترانا ونراك وقد نشرت لواء النصر؟ ترى أترانا نحف بك وأنت تؤم الملأ، وقد ملأت الأرض عدلاً، وأذقت أعداءك هوانا وعقابا... وقطعت دابر المتكبرين واجتثثت أصول الظالمين».[1]

(١) ابن طاووس، الاقبال: ص٥١١.

وأرسى أيضا علاقة فكرية وسياسية وتنظيمية بين خلفائه وشيعته لن تنفصم عراها أبد الدَّهر ومهما احلولكت الأيام وتعاظمت الخطوب وصارت العلاقة القويّة بين الشيعة والفقهاء ممثلة بالتقليد والولاية الصفة الثالثة التي عرف الشيعي بها ويوصف.

غاب المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف الغيبة الكبيرة بعد أن احكم تينك العلاقتين الأصليتين في هذا اليوم يوم الخامس عشر من شعبان معرضا شيعته للامتحان الصعب والتمحيص الكبير، معرضاً شيعته إلى تجربة التكامل الذاتي وفق المنهج الإلهي، هذه التجربة التي أخفقت فيها كل الجماعات البشرية المؤمنة حين ضعفوا عن حمل الأمانة وانحرفت بهم السبل وغالتهم الأعداء سوف لن يكون مصير شيعة المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف كذلك في هذه التجربة بإذن الله تعالى.

ز. حافظ الشيعة في عصر الغيبة الكبرى على الصفات الثلاث التي بناها الأئمة الاثنا عشر عليهم السلام فيهم:

١. الحزن على الحسين عليه السلام وحمل ظلامته غضّة طرية.

٢. الانتظار للمهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف والتهيئة.

٣. والرجوع إلى الفقهاء العدول في الحوادث الواقعة لأخذ الإسلام برواية علي عليه السلام وتطبيقه منهم والاحتكام اليهم والارتباط بهم مصيريا كما أوصى بذلك المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف نفسه في الغيبة الصغرى حيث قال «وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة أحاديثنا فانهم حجتي عليكم».[1]

وقد خطا الشيعة بقيادة الفقهاء إلى أبعد من المحافظة على هذه الصفات الثلاث ارتقوا إلى واقع اكثر تطوراً في قدراته وإمكاناته، واقع استطاع الفقيه الجامع للشرائط أن يتحرك به لإنجاز أعمال سياسية ضخمة بدءاً من فتوى التنباك الشهيرة ومروراً بقضايا المشروطة والمستبدة وفتوى الجهاد في الحرب الأولى وثورة العشرين و الخامس عشر من شعبان وفتوى تكفير الشيوعية وقيام السيد الخميني وتحرير أهم منطقة نفوذ لأميركا في المنطقة إلى الدور الذي اضطلع به السيد السيستاني دام ظله الوارف بعد عام ٢٠٠٣م وصولا إلى فتوى الجهاد الكفائي

(١) الحر العاملي، وسائل الشّيعة: ج٢٧/ ص١٤٠.

وما بعده.. وفي كل هذه الإنجازات كان الفقهاء يمارسون عملهم بوصفهم نوابا للمهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف مصرحين بذلك، والعالم اليوم بغض النظر عن موقفه من الأطروحة الفكرية التي يحملها الشيعة يشهد لهم عميق ارتباطهم بالفقهاء وشديد حزنهم على الحسين عليه السلام وأصيل انتظارهم للمهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

الغرب كما يعرض نفسه ويراه العالم:

توصل الغرب على اختلاف بلدانه وقومياته في القرون الأخيرة إلى طريقة خاصة في الحياة وهي طريقة العلمانية «النهج الحياتي الذي يستبعد أي تأثير أو توجيه ديني على تنظيم المجتمع والعلاقات الإنسانية داخل المجتمع والقيم التي تحتويها هذه العلاقات وترتكز عليها»، وقد أصبحت العلمانية «الروح العامة والموجهة في الحضارة الحديثة بجانبيها الرأسمالي والماركسي».[1]

وحين يقتصر الغرب في موقفه وطريقة تفكيره تلك على المسيحية والكنيسة أي انه يستبعد تأثير

(١) يراجع: محمد مهدي شمس الدين، العلمانية: ص٧.

البابا والمسيحية على الحياة العامة فهو على حقه في ذلك وله من المبررات ما يجعل موقفه نتيجة طبيعية لحركة التطور البشري إذ لا تمتلك المسيحية المعروفة الممثلة بالكتاب المقدس ولا الكنيسة الممثلة: بالبابوية القدرة على استيعاب تطور الإنسان ومواكبة حاجاته المستجدة، إضافة إلى الخطأ الذي تورطت فيه الكنيسة عندما وسعت من سلطتها المطلقة لتشمل النواحي العلمية القائمة على أساس الملاحظة والتجربة ففرضت على الباحث في العلوم الطبيعية ـ مثلاً ـ أن لا يأتي بشيء يخالف التصورات المتبناة من قبل الكنيسة في حقل الطبيعة، كقضية غاليلو وموقف الكنيسة من رأيه في حركة الأرض حول الشمس وهي معروفة لدى الجميع.

ولئن كان الغرب قد أصاب في موقفه من المسيحية والكنيسة فانه قد اخطأ حين جعل موقفه ذاك هو الموقف العام أيضا من الإسلام وقد ساعده على هذا التعميم أمور عدة:

منها: تجربة الخلافة مع الإسلام فقد أفرزت في مرحلتها العثمانية وبخاصة الطور الأخير حالة من التخلف الفكري والإداري والصناعي لم تكن

معهودة من الخلافة في مراحلها السابقة على الرغم من انحرافها وابتعادها عن الاسلام.

ومنها: أن كثيرا من المسلمين الذين لا يعرفون من الاسلام إلا تجربته الخلافية قد انبهروا بالحضارة الغربية وتجاوبوا مع الأساس الفكري العام الذي قامت عليه هذه الحضارة كما حصل في تركيا مركز الخلافة الإسلامية العثمانية حين قام نظام علماني على أنقاضها نصَّ في بعض مدوناته الرسمية «على أن تأخر الأمة إنما جاء من النظم والمدونات الدينية»[1] «ويرى فصل الدين عن أمور الدنيا والسياسة وسيلة رئيسية لتقدم الأمة وسموّها ونجاحها».[2]

ومنها: ما بذلته الكنيسة أيام نفوذها قبل الحروب الصليبية وأثناءها وحتى بعدها من تشويه للقرآن وشخصية النبي ﷺ ولا زالت ماضية في جهدها ذاك إلى اليوم، قال مونتغمري واط «ليس هناك شخصية كبيرة في التاريخ حط من قدرها في الغرب كمحمد فقد أظهر الكتاب الغربيون ميلهم لتصديق أسوأ الأمور عن محمد».[3]

---

(١) محمد بين العرب والشرك: ص٨٨-٨٩.
(٢) تاريخ الجنس العربي: ص ١٧٥.
(٣) مونتغمري، محمد في مكة: ص ٩٤.

لقد كانت المشكلة الأساسية في معاناة الغرب هي الكنيسة وسيطرتها المطلقة على شؤون الحياة المختلفة وقد شهد الغرب الفتوحات العلمية العظيمة والتطور الصناعي الهائل لا في تاريخه فحسب بل في تاريخ الإنسانية كلها يوم ثار على الكنيسة وفصل الدين عن الحياة العامة واعتمد النهج التجريبي أساساً لتفكيره وتهيأت الأجواء بعد ذلك لا لفصل الدين عن الحياة العامة فحسب بل رفضه تماماً حين ظهرت بعض الاتجاهات التي تعتمد التجربة مقياساً لصحة الفكر وخطأه ومن هنا وصفت الماركسية الدين بأنه خرافة ودعت إلى تجاوزه تماماً.(١)

وتبوأ العلم التجريبي موقعاً خطيرا في حياة الإنسان الغربي لما حققه من إنجازات عظيمة في تطويق سلبيات الطبيعة عليه وتخليصه من اغلب كوارثها، أو في تحريك خيراتها لخدمة أهدافه

(١) يقول نديم البيطار في كتابه الإيديولوجية الانقلابية ص ٧٢٦ «ان الإلحاد الانقلابي الحديث يؤله الإنسان بشكل ما، كانت اللبرالية والشيوعية والنازية والاشتراكية والديمقراطية محاولات تأليه» ويقول في ص ٧٢٨ «هكذا نرى أن الانقلابات الحديثة تهاجم الدين السائد بشراسة وضراوة... ولكن الإيديولوجيات الهت عنصراً إنسانيا كالعقل والأمة أو الجنس أو الفرد أو البروليتاريا».

ومصالحه، واستجاب إنسان العصر الحديث لسيادة العلم وخضع له خضوعاً مطلقاً.

إن رفض الدين المحرف الذي يكبل حركة الإنسان ويعثر مسيرته ليس موقفا خاطئا يحاسب عليه بل موقف صحيح يشكر له، أما تأليه الإنسان الذي كان البديل لرفض الدين في الغرب فهو موقف خاطئ وانحراف كبير، لقد فرَّ الإنسان الغربي من انحراف المسيحية ووقع في انحراف اشد وهو العلمانية، وقد حاول دعاة العلمانية ان يجعلوا من العلم غطاءً وقناعاً لهذا الانحراف فوصفوا «بدعة فصل الدين عن الدولة وتأليه الإنسان» بالعلمانية أي الموقف القائم على أساس العلم، كما وصف ماركس اشتراكيته بالاشتراكية العلمية أي النظام الاجتماعي الذي أفزرته قوانين التاريخ التي هي قوانين علمية خاصة بحركة الإنسان السياسية زعم ماركس انه كشفها كما يكشف العالم الفيزيائي قوانين الفيزياء.

وبحكم العوامل التي فرضت على الغرب ان ينغلق على الاسلام الصحيح والعوامل الأخرى التي فرضت عليه ان يرفض المسيحية وحاجة

المجتمع الماسة إلى النظام الاجتماعي وبحكم إحساسه بوجود نظام اجتماعي طبيعي كما هو الحال في الكون الذي تحكمه القوانين الخاصة به، وكما ان التجربة والملاحظة كانت أساساً صحيحاً ووحيداً لاكتشاف قوانين الكون كل ذلك دعاه ان يعتمد التجربة أساساً لاكتشاف النظام الاجتماعي الأصلح، وهكذا فرضت هذه العوامل مجتمعة ان يسير الغرب باتجاه منحرف منذ اليوم الأول الذي ثار فيه على الكنيسة والمسيحية.

وتعمق هذا الانحراف حين رفع دعاة العلمانية شعارا: أن هذه الإنجازات العلمية أساسا هي من صنع العلمانية كمنهج في الحياة، وبحكم السيادة التي تبوأها العلم التجربي بحق والانبهار الكبير بإنجازاته وفتوحاته أصبح العلم التجربي وإنجازاته العلمية غطاءً وقناعاً للانحراف.

وكان الأمر كذلك للإنسان الغربي فقد أصبح العلم التجريبي دليلاً على العلمانية وهنا يصل الانحراف قمته أي حين تتوفر للعقل مبررات قوية تجعله يتقبل الانحراف كأمر صحيح ويتحول جدل الإنسان وفكره بسبب ذلك إلى جدل عقيم وتسقط مع هذه الحالة فائدة الحوار.

لقد وصل الغرب إلى هذه الحالة بعد مسيرة ثلاثة قرون أو اكثر من الانحراف المغلف والمبرر بالعلم التجريبي، والغرب اليوم يقود عملية الانحراف في العالم ليس لأنه يمتلك كما يقال حصة الأسد من العلوم التجريبية والإنجازات العملية لها، بل لأنه يمتلك الأسد وحصته فالغرب في نظر االعالم مصدر العلوم التجريبية كما يقال.

ونحن حين نتحدث عن الحالة العامة للغرب والمتأثرين به لا يعني عدم وجود أفراد أحرار في فكرهم أدركوا حالة الانحراف هذه وخرجوا عنها ولكنهم قلائل، مَثَلُهم في ذلك مثل أبي ذر وعمار ومقداد قبل بعثة النبي صلى الله عليه وآله كانوا يدركون انحراف العرب في الجاهلية وتحرروا من الانجراف وتطلعوا إلى منقذ يضعهم على الجادة السليمة.

الانحراف الفكري و مواجهته إلهياً:

في كل حقبة زمنية تسجل حركة التطور البشري امتيازاً ونضجاً في حقل من حقول الخبرة الإنسانية، ثم تتفاعل البشرية معه تفاعلاً خاصاً بل تغلو به في كثير من الأحيان، وفي ظل غياب الأطروحة الإلهية

السليمة من التحريف وتوفر أجواء الانحراف تستغل فئة خاصة في المجتمع ذلك الانبهار والغلو لتكريسه أولا ثم لتبرير حالة الانحراف الفكري والابتعاد عن الله تعالى وهكذا تتحول الخبرة البشرية الممتازة في حقل العلوم المختلفة أو في حقل اللغة والأدب أو غيرها إلى مدخل للانحراف الفكري وأساس تبريري له.

وما عرضناه آنفا من الحديث عن الانحراف الفكري الغربي هو فيما نقدر آخر أشكال الانحراف الذي يحصل في البشرية المبرر بالخبرة البشرية الناضحة في حقل من الحقول، وقد ادخر الله تعالى المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف لمواجهة هذا النوع من الانحراف وإنقاذ المجتمع البشري منه، (والعمر الطويل للمهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ومظهره الشاب الخارق لقانون التكوين البشري وسلاحه الفعال، عدة المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف في هذه المواجهة بل عدة الله سبحانه وتعالى).

والمهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف في هذا الأمر كمن سبقه من حجج الله في أرضه الذين هيأ الله لهم من المعجزات ما يعالج به انحرافات عصره ويفضح الطواغيت

والمستكبرين دعاة الانحراف ويفتح الطريق إلى الله.

وقبل الدخول في هذا البحث نرى من الضروري الحديث ولو إجمالا عن الخط الإلهي العام في مواجهة الانحراف الفكري.

نريد بالانحراف الفكري هنا: نوع الانحراف الفكري الغربي الذي شرحناه سابقا وهو سنخ انحراف تتعطل معه قدرة الإنسان على إدراك الحق وتبطل به فائدة الحوار ما لم تسترجع القدرة المفقودة ويطلق الفعل من أسره وقيوده.

وفي حالة من هذا القبيل تكون المعجزة هي الدواء ونريد بالمعجزة: الأمر الخارق للقانون الكوني الذي يبطل مقولة الطواغيت ويفضح أحدوثتهم ومن جهة أخرى يثبت مقولة الرسل ويؤيد رسالتهم.

ففرعون مثَّلَ طاغية كانت أحدوثته هي مدعياته بتعدد الأرباب والآلهة فبزعمه هناك رب الشمس ورب القمر، ورب النيل ورب مصر العليا ورب مصر السفلى وهكذا... وأن رب الشمس هو رب الأرباب وان فرعون هو ابن رب الشمس ويرمز لرب الشمس بالصل والثعبان الذي يحرق الأعداء بزفيره الناري، ومن ثم أصبح الصل هو

الرمز الملكي الذي يضعه الملك فوق جبينه أو تاجه، والصل أي: الثعبان هو حامي مصر السفلى أي رب الدلتا، وبسبب ذلك لابد ان تكون كلمة فرعون هي القانون السائد في مصر.

والسحر كخبرة بشرية بني على العقائد والمواد الكيماوية وصل في ذلك الوقت درجته العالية في النضج وتفاعل الناس معها وغلوا بها فسخرها فرعون لخدمة أحدوثته فأضاف إليها التعاويذ والتراتيل التي تذكره وتذكر آلهته فيظن الملدوغ مثلاً ان علاجه قد تم بالتعويذة التي تذكر فرعون والهته لا المرهم الموضوع على العضو المصاب.

وحينما خضع الإنسان المصري لهذا الوهم وقام بناؤه العقلي على ذلك كان لابد من إنقاذه من هذا الوهم أولا وهو الاعتقاد بأن قدرة الساحر ناشئة من فرعون فتأتي المعجزة من سنخ مايتذرع به فرعون لإثبات مدعياته، فيجيء موسى عليه السلام بالعصا واليد البيضاء وآيات أُخر يبطل بها سحر فرعون فينتهي الانبهار به ويتحول إلى موسى عليه السلام ورسالته ويظهر فرعون ومدعياته عارياً عن السحر الذي ابطل الانبهار به للمعجزة المسانخة له شكلاً المختلفة عنه جوهراً.

إذن الخط العام الثابت الذي تتحرك وفقه حركة النبوات لمواجهة الانحراف الفكري هو المعجزة، بصفتها الأمر الموضوعي الوحيد الذي يبطل به الانبهار بالخبرة الممتازة المستغلة من المنحرفين، وهي أيضا الأمر الموضوعي الوحيد الذي يفضح الطاغوت؛ لأنه عاجز عن الإتيان بمثله، وهو أيضا الأمر الموضوعي الوحيد الذي يثبت تأييد الرسول.

وقد تنوعت المعجزات تبعا لتنوع الخبرة البشرية التي تتهيأ الظروف لها لتكون مدخلا للانحراف.

علم الشيخوخة (Gerontology):

تمخضت النهضة الأوروبية الحديثة عن علوم تجريبية متنوعة ازدادت من خلالها خبرة الإنسان بأسرار الكون والقوانين التي تتحكم بظواهره، وجعلته أكثر قدرة من ذي قبل على مواجهة ظواهر الطبيعة وتوجيهها لصالحه.

ويرتبط بموضوعنا علمان أساسيان من هذه العلوم هما علم الشيخوخة وعلم الآثار القديمة، وهما علمان ما كانا ليولدا وينشئا لولا النهضة الأوروبية الحديثة حيث يقومان على أساس

الوسائل التجريبية المتطورة التي أفرزتها هذه النهضة كما يتوقف نموهما وتقدمهما على تقدم تلك الوسائل نفسها. إضافة إلى انهما علمان فرضا على أوروبا ومن ينهج نهجها في الحياة أن يمُدَّ يد العون لتطوير هذين العلمين باعتبار نتائج تطور الشيخوخة تهم كل إنسان في هذه الحياة، كما أن آثار الإنسانية السحيقة وإن كانت في مكان محدد أو لقوم معينين غير أن قدمها وانقطاعها عن العالم المعاصر جعلها مشاعة للجميع بصفتها تعبيرا عن الإنسان في مراحله الأولى، والإنسانية كمجموع يهمها أن تعرف كيف كانت في مراحل نشأتها الأولى، ولا نجد هذه الحالة التعاونية الشاملة في علوم أخرى بل نجد الاحتكار أحياناً في بعضها كما هو الحال في الصناعة وبخاصة المرتبطة بالتفوق الاقتصادي والعسكري.

يُعنى علم الشيخوخة (Gerontology) بالدراسة العملية لظاهرة الشيخوخة (Phenomena of aging) ومشكلاتها، كما يعنى علم طب الشيخوخة (Geriatrics) بالمشكلات والأمراض التي تصيب الإنسان المسن[1]، والشيخوخة هبوط وانحدار

(١) W.N.I. Dictionary

متعاقب وتتالٍ غير قابل للعودة إلى الوضع السابق (Progressive and irreversible decline) يحصل في كل فرد كجزء طبيعي من دورة حياته في فترة ما بعد بلوغه يشمل اكثر أو كل خلايا الأعضاء والأجهزة في الجسم.

وهدف البحث في علم الشيخوخة هو اكتشاف العوامل المؤثرة على هذه التغيرات ثم محاولة التخفيف من الوهن والضعف المرافق للشيخوخة.

وللشيخوخة مظاهر متعددة ولكن الاساسية منها يمكن حصرها في مقولات ثلاث:

١. تغييرات حيوية وظيفيه (Biological - Physiological).

٢. تغييرات نفسية سلوكية (Physiological - Behavioral).

٣. تغييرات اجتماعية اقتصادية (Social - economic) [١].

لقد أدرك الإنسان منذ الماضي ظاهرة الشيخوخة وعانى منها، وداعبه حلم (تجديد الشباب) ولا

(١) Enc. Bible

يزال، غير أن إدراكه ذاك لم يكن مقرونا بدارسة لما يتركه الزمن من بصمات لا تمحى على الأنسجة والخلايا التي تتألف منها أعضاء الجسم وأجهزته، إنه كان يدرك من الشيخوخة ظاهرها ونتائجها لا غير.

وأما باطنها وأسرارها فلم يكن بإمكانه إدراك ذلك لعدم تيسر الوسائل العلمية المعقدة التي تتألف منها مختبرات اليوم، كان إدراكا ساذجا إذا ما قورن بادراك الإنسان الحديث الذي علمته الحضارة الأوروبية الحديثة ووسائلها الكثيرة عن حقيقة الشيخوخة وتلك البصمات الباقية التي هي السر وراء الظواهر العامة التي يتميز بها الإنسان المسن.

إن هذا الإدراك سوف ينمو ويتسع لدى الإنسان المعاصر والأجيال المقبلة؛ لأنها مصيره الذي سوف يلاقيه حتما وبخاصة وقد استطاع ان يقضي على كثير من الأمراض التي كانت تهدد حياته وتحول بينه وبين عمره الطبيعي وحين يصل إليها سوف تزعجه مشكلاتها التي تفرض عليه مراجعة أطباء الاختصاص (Geriatricians)، وسوف يواجه الأطباء بيان ما علمهم العلم الحديث من أسرار الشيخوخة

وحقائقها التي جعلت العلم يعترف بعجزه أمامها وبخاصة حين يكون الحلم من قبيل (رجوع الشيخ إلى صباه وشبابه) عجزاً قائما على أساس التميز بين ظواهر مرضية وضعف عام في الصحة يقع نتيجة ميكروب أو نقص مادة غذائية معينة أو مادة كيماوية معينة وظواهر الضعف العام في الصحة والانحدار في المزاج نتيجة تقدم العمر بالإنسان؛ لأنه أمام النوع الأول من الظواهر ليس عاجزا بما وفره العلم له من المضادات الحيوية والأدوية المتنوعة، وحتى لو فرضنا انه لا يعرف للآن بعض المضادات الحيوية للقضاء على الفيروس مثلا فهو عجز مؤقت مصحوب بثقة الوصول إليه في المستقبل، أما عجزه أمام عوارض الشيخوخة المزعجة فهو عجز دائم مبني على عجز العلم الحديث نفسه.

وهكذا بفعل الحاجة المتزايدة لمعالجة مشكلات الشيخوخة والعجز الدائم للعلم عن مواجهة هذه المشكلات مواجهة جذرية والتأكيد المستمر على عجزه عن تجاوز هذه الظاهرة من خلال معرفته النامية بقانون الشيخوخة ليست بصفتها قانونا خاصاً بالإنسان بل بصفتها قانونا كونيا يسري في

كل مفردات الكون والطبيعة من الكائن وحيد الخلية إلى المجرة الكبيرة إلى الكون نفسه.

علم الآثار القديمة (Archaeology):

نشأ علم الآثار القديمة أو علم الماديات أواخر القرن الثامن عشر ويُعني بالدراسة العلمية للجماعات البشرية البائدة أو الأطوار القديمة للحضارة من خلال الهياكل العظيمة المتبقية أو المتحجرات (Fossils) وأشياء الإنسان من أدوات ومصنوعات ونصب ونقوش يعنى بها وصفاً وتحليلاً وتقديراً لزمنها (Dating)[1] ولتقدير زمن الأشياء علم خاص هو علم التقويم (Chronology) يهدف إلى ضبط موقع الشيء التاريخي في المسيرة العامة للإنسان وتعيين الدور التاريخي الذي ينتسب إليه ذلك الشيء، ويستعين عالم الآثار القديمة اليوم بعلوم أخرى كعلم النبات وعلم الحيوان وعلم التربة وعلم الجيولوجيا وعلم الأشعة وغيرها.

وقد أحيا علم الآثار القديمة الحضارات المندثرة

(١) يراجع قاموس ويبستر دائرة المعارف البريطانية لفظة (Archaeology).

المنسية، كحضارة السومريين والأكديين والبابليين والآشوريين في العراق والفراعنة في مصر، والادغاريين والفينقيين في سوريا، واستطاع أن يقرأ ماكتبوه على الطين المشوي وما نقشوه على الأحجار والجبال وما كتبوه على أوراق البردي والجلود، استطاع أيضا أن يفك رموز الكتابة المسمارية والكتابة الهيروغليفية وغيرها من الكتابات، ويتوصل إلى قواعدها وأصولها ومتاحف العالم اليوم التي لا يخلوا منها بلد زاخرة بالآلاف من هذه الألواح والنقوش كما هي زاخرة بالآف العينات من مخلفات الحضارات القديمة استطاع إنسان العصر الحديث من خلالها أن يعرف عن إنسان ومجتمع تلك الحضارات عاداته وأعرافه وعقائده وشرائعه وأدبه وأمثاله وعلومه الحياتية المختلفة، وقد كان الطريق الطبيعي للحصول على تلك العينات والنقوش هو ارتياد الأطلال والمواقع الأثرية والحفر فيها (Excavation) (وهو المظهر الجراحي لعلم الآثار)[1] الذي أمده بالكنوز بين الفينة والأخرى،

(١) يراجع الموسوعة البريطانية قسم الماكروبيديا لفظة (Excavation).

وله رجاله وبعثاته.[1]

«والمواقع الأثرية أو الأطلال الأثرية كانت في أصلها قرى أو مدن قديمة فالمعروف أن الناس كانوا وما زالوا يعيشون في البقعة الواحدة عدة أجيال متعاقبة، وسواء كانت دور سكناهم مبنية من الطين أم من (اللبن) أم من الآجر فإنها لابد أن تتداعى بمرور الأزمان، وبعد استنفاد ترميمها عدة مرات تشيد بيوت جديدة فوق بقايا جدران البيوت القديمة بعد تسويتها للاسفادة منها كأسس للبيوت الجديدة، وهكذا ترتفع أماكن السكنى بمرور الأزمان وتكون تلاً أو مرتفعاً اصطناعيا يمثل أدواراً كثيرة من السكنى المتعاقبة، ومثاله قلعة (كركوك) القديمة التي هي في واقع الأمر تل اصطناعي تكون من تراكم طبقات السكنى المتعاقبة لعله منذ منتصف الألف الثالث قبل الميلاد إلى الزمن الحاضر حيث

(١) أحصى طه باقر في كتابه مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ط٢ سنة ١٩٧٠م أربعاً وعشرين بعثة تنقيب بريطانية وألمانية وأميركية وفرنسية ويابانية وسوفيتية وإيطالية ودنماركية وعراقية توزعوا على الأماكن الأثرية وهي كثيرة جدا في العراق وأسفرت جهودهم التنقيبية عن آلآف الألواح الطينية في مختلف حقول المعرفة بالخط المسماري وآلاف العينات الحضارية القديمة لسكان العراق القدماء وهي الآن موزعة في متاحف العالم المختلفة.

دور السكنى الحديثة فوق قمة التل وتحتها أسس جدران بيوت من العهد العثماني وتحت هذه أنقاض سكنى من دور أقدم وهكذا إلى قعر التل حيث بقايا أول استيطان في الموضع وهو يقوم فوق ما يسمى في علم الآثار بالأرض البكر (Virgin soil) وهناك عوامل كثيرة لترك مواضع السكنى القديمة والانتقال إلى أماكن جديدة.

وهي تختلف باختلاف المواضع، فمن بين هذه العوامل ان موضع السكنى إذا ارتفع ارتفاعاً كبيرا بسبب تراكم بقايا السكنى بعضها فوق بعض تركه السكان وسكنوا في موضع جديد، ومنها انقطاع موارد المياه مثل جفاف الآبار والعيون، وأهم من ذلك تغير مجاري الأنهار التي شيدت فوق ضفافها تلك المستوطنات.

ويستخدم الآثاريون مصطلح (الطبقة الاثرية) (Level) و (الدور الحضاري) (Cultural period) ويريدون بالطبقة الاثرية: الدور البنائي أو الدور السكني، (Building level) سواء كان البناء من جدران وتباليط (Pavement) تابعة لها، أم من أرضيات ترابية أو طينية مدكوكة مما يبقى من سكنى الإنسان في

الخيام أو الاكواخ أو الملاجيء الجبلية أو الكهوف، أما الدور الحضاري فيريدون به الحقبة الزمنية التي قد تدوم بصفة قرون تتألف في الموضع الأثري من عدة طبقات وتتميز الحقبة الزمنية بآثارها الخاصة وطرزها المعمارية وأوانيها الفخارية، والباحثون الآن في وضع يستطيعون معرفة الدور الحضاري بمجرد فحص آثار قليلة منه.

ومن البديهي أن تكون الطبقة الأثرية السفلى وما يعثر عليه فيها من الآثار وأبنية أقدم زمنا من الطبقة التي تليها إلى الأعلى، ويستطيع الباحث الأثري أن يخمن الزمن الذي تستغرقه كل طبقة من هذه الطبقات و بتقدم العلوم الحديثة يستعين علم الآثار بطائفة من الاختراعات التي توصلت إليها العلوم الحديثة مثل الكيمياء والفيزياء الذرية والجيولوجيا وغيرها في تحديد أزمان أدوار التاريخ وما قبله بالنسبة إلى عهد ثابت مثل العهد الميلادي.

ومن الطرق العلمية الحديثة التي طبقت حديثا في تحديد أزمان المواد الأثرية التي تعرف بمصطلح النظائر (Isotopes)أو العناصر المشعة (Radio - active) أي وجود إشكال للعنصر الواحد ذات أوزان ذرية

مختلفة، والعادة في هذه النظائر أنها غير ثابتة؛ لأن ذراتها مشعة فتتحول إلى عناصر أخرى، ومن هذه العناصر المشعة التي استخدمت في تحديد أزمان العصور التاريخية هو (الكاربون ١٤) استخدمها العالم الطبيعي (Libby) من جامعة شيكاغو عام (١٩٤٨) تبعه باحثون آخرون ومازال البحث فيها وتحسينها جاريين.

ومنها أيضا طريقة فحص (البوتاسيوم-ارغون) المرموز لهاب(K-A) المستندة إلى ظاهرة تحول البوتاسيوم المشع أي الوزن الذري (K 40) بمرور الزمن إلى (ارغون).

ومن الطرق الأخرى التي اعتمدها الباحثون لتحديد تسلسل الحكام والملوك ما خلفه الكتبة القدماء من إثبات أو جداول مطولة بأسماء السلالات الحاكمة وترتيب تسلسلها الزمني».[1]

وقد نشأ علم آخر يهتم بالكتابات القديمة وهو علم الوثائق (Diplomatics) ويعني بالتمييز بين الوثيقة الأصلية عن المزورة وكل ما يرتبط بالنص وفك

(١) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة: ج١/ ص ١٣٤-١٤١، ط٢ باختصار.

رموزه وكشف معمياته وتصحيحه.[1]

لقد تهيأت أرضية جديدة للإنسان الأوروبي وإنسان العالم الحديث من خلال علم الآثار والعلوم الأخرى الفرعية ذات العلاقة جعلته يتذوق التعامل مع الأشياء الأثرية وأثارت لديه الحاجة من خلال ما تجمع لديه من هذه الوثائق والآثار إلى تنظيم رؤية عن حركة حضارة الإنسان منذ فجر نشأته وقد سار فعلاً في هذا الاتجاه وقطع شوطاً لا بأس به ظهر عبر تآليف جيدة ومتنوعة شهدتها الساحة العالمية سواء على مستوى الموسوعات الكبيرة أو على مستوى الدراسات التجزيئية.

وبحكم الصلة الوثيقة بين الآثار الكتابية القديمة سواء المنقوشة على الحجر أو المكتوبة على الرق وأوراق البردي وبين تراث حركة الأنبياء عليهم السلام الصلة التي فرضتها وحدة الموضوع بل ووحدة النص أحياناً بحكم ذلك أصبحت الدراسات المقارنة ضرورة قائمة بين ما تملكه الكيانات الدينية كالزردشتية واليهودية والمسيحية والإسلام من

(١) قاموس ويبستر والموسوعة البريطانية.

نصوص ووثائق وما أسفرت عنه الحفريات في علم الآثار من النقوش المسمارية والهيروغليفية والآرامية والعبرية والسريانية والعربية الجنوبية وغيرها، والمنهج المقارن في الدراسة هو المنهج العلمي الوحيد الذي يخدم الوثيقة والحقيقة الكامنة فيها نفيا وإثباتا.

إن حركة التطور في علم الآثار بلغت مرحلة جيدة وهي سائرة باتجاه إعطاء مزيد من الثقة بوسائل علم الآثار وعلم التقويم في الكشف عن العمر الدقيق للأشياء التاريخية، كما ان حركة الانفتاح على هذا العلم وكشوفاته بلغت مرحلة جيدة جعلت الآثار حالة تعتز بها الشعوب جميعا وجعلتها تثق بمعطيات علم الآثار وقدرته على تشخيص عمر الأشياء بمستوى البداهة.

كما ان حركة الدراسات المقارنة سائرة باتجاه ان تسلط الأضواء على الكيان الديني الذي كانت نصوصه اكثر التقاءً مع حقائق علم الآثار وكشوفاته، التقاءً يزيد من إيمان واعتزاز حملة تلك النصوص بها ويبعث غيرهم على مراجعة موقفهم السلبي الذي أقاموه إزاءها وإزاءهم.

هل سيستخدم المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وسائل الإثبات الاركيولوجية لإثبات عمره الطويل؟

إن المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف في ضوء العقيدة الشيعية إنسان تأريخي ولد سنة ٢٥٥ هـ ويكون عمره إلى وقت تحرير هذا البحث قرابة اثني عشر قرنا وعندما يطالعه الناس عند ظهوره سوف يواجهون إنسانا يفيض بحيوية الشباب حيث يخلو وجهه ويداه من تجاعيد الزمن مهما كانت بسيطة، ومن هنا تبرز قضية أساسية أمامه وهي كيف سيثبت للعالم أنه ذلك الرجل التأريخي المولود سنة ٥٥ هـ ؟ هل سيستخدم وسائل الإثبات الاركيولوجية لتحقيق اليقين بظاهرته الفريدة عند المشاهدين؟ أو سيكتفي بتأييد الله تعالى في انتصاراته ويقول من شاء أن يؤمن فليؤمن ومن شاء أن يكذب فليكذب؟ فهناك إذن منهجان:

الأول: استخدام وسائل الإثبات الاركيولوجية.

الثاني: الاعتماد على التأييد الإلهي ثم التسليم بكل مايقوله عن نفسه.

وفي ظل المنهج الثاني سوف يكون الاعتقاد الشيعي بعمر طويل وشباب دائم للمهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف

مجرد اعتقاد ليس له أثر خاص عند الظهور.

ولا يترقب أن يكون الأمر كذلك إذ أن عمرا بمستوى الألف ومائتي سنة مع شباب دائم ليس من شك هو خرق للقوانين الطبيعية التي تقضي أن يتأثر الجسم أي جسم حي كان بمرور الزمن عليه وكلما طال الزمن كلما كانت البصمات أكثر وضوحا، أرأيت لو كنت أمام شجرة عمّرت ألف سنة كيف سيكون مظهرها كافيا لحكاية القدم وإثباته؟!

وهكذا لو كنا أمام إنسان عمر ألف سنة فإننا سنكون أمام ظهرٍ منحنٍ وأسنان متهدمة وتجاعيد تملأ الوجه وحاجبا متهدّلاً يكاد يخفي العين خلفه، أما أن لا نجد كل تلك الأمور بل على العكس نجد حيوية الشباب طافحة على الوجه وبشرة الجسم فإن ذلك سوف يجعلنا أمام ظاهرة خرق لقانون من قوانين الطبيعة في جسم الإنسان.

إن اعتقاد الشيعة بالعمر الطويل للمهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف مع الشباب الدائم معناه الاعتقاد بمعجزة للمهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف سلفا يتقدم بها للعالم لها أثرها الخاص نظير أي معجزة من معجزات الأنبياء عليهم السلام الذين قص القرآن الكريم علينا خبرهم.

وهكذا يتعين علينا أن نفكر في وسائل إثبات تجعل الناس جميعا يدركون ظاهرة الإعجاز هذه؛ لتحقق فيهم الأثر المطلوب وليس غير وسائل الإثبات الاركيولجية التي تحدثنا عنها سابقا.

وعلى سبيل المثال لو ظهر المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف في عصرنا وبرز رئيسا في يوم وليلة لأهم بلد في الشرق الأوسط على مستوى النفط والموقع المعنوي - الحجاز - وجن جنون القوى الكبرى وهم يرون البلد قد خرج من ساحة نفوذهم، وشاهدوا البيان الأول للنظام الجديد يعرف برئيس لا يشبهه رئيس فيما يدعيه لنفسه حين يقول إنه رجل من القرن الثالث الهجري والقرن التاسع الميلادي ولد في ١٥ شعبان سنة ٢٥٥ هـ في سامراء وأن أباه الحسن العسكري وجده علي الهادي عليهما السلام المدفونان في القبة التي فجرت سنة ٢٠٠٦ ميلادية ظلما وعدوانا وأن عمره ألف ومائتا سنة وأنه وارث مواريث الأنبياء عليهم السلام ومواريث محمد صلى الله عليه وآله ومواريث علي وأهل بيته عليهم السلام وأنه الموعود لتخليص البشرية من جباريها ويقيم دولة العدل المطلق.

وأن الله تعالى أيده بتعطيل كل القوى الصاروخية

والجوية الأخرى بل سوف لن تطير طائرة في أجواء الدنيا إلا بعد إذنه.

وانه كانت له جولة (مثلا) قبل ألف سنة تقريبا في العالم وحين مر من ساحة (الهايد بارك)[1] في لندن وكانت آنذاك دارا للوثائق والكتب واستخرج نسخة الكتاب المقدس باللاتينية ترجمة جيروم وفتح سفر اشعياء الفصل الثالث والخمسين وأنه علق عليه بقوله: (إن هذا الفصل الذي يتفق عليه اليهود والمسيحيون أنه يشير إلى أحد أولياء الله يذبح كما يذبح الكبش ظلما وعدوانا ولكن الله تعالى يكون معه حين يشيد قبره ويصبح علما للهداية وحين يجعل من ذريته رجلا طويل العمر تكون مسرة الرب على يده، ويقول اليهود ان هذا الرجل لم يولد بعد، ويقول المسيحيون انه عيسى بن مريم عليه السلام، بينما النص يتحدث عن مصيبة جدي الحسين عليه السلام وتتحدث الفقرة العاشرة منه عن شخصي أنا محمد بن الحسن العسكري التاسع من ذرية الحسين عليه السلام وتشير إلى عمري الطويل والى تأييد الله تعالى لي بالنصر

(١) Hyde Park, London

وسوف يأذن الله لي بالظهور يوم كذا في شهر كذا سنة كذا ويصلح أمري في يوم وليلة في مكة واعلن عن هويتي وقد تساقطت دموعي على خط يدي؛ لأنني تذكرت مصيبة جدي الحسين عليه السلام ثم كتبت نسخة من الكلام في قطعة من الجلد وهي عندي اليوم) ثم يطلب من مؤسسات الدولة في لندن ان تنقب في الزاوية الفلانية من الساحة وتحفر بعمق كذا مترا على طريقة المنقبين وسيكتشفون آثارا ووثائق تملا نقاط الفراغ في تاريخ بريطانيا الوثائقي واشترط ان تدعى الفضائيات العالمية وتنقل التنقيب ونتائجه وواقعه بشكل مباشر فإذا وجدتم كما أخبرتكم فسوف تعلمون إني صادق وإذا لم تجدوا شيئا فسوف يعلم الجميع ومنهم شعبي في الحجاز أني كاذب.

وإنه مر في موسكو ساحة كذا وكانت دار اللوثائق أيضا وقد استخرج نسخة كذا وعلق عليها كذا وأنهم لو حفروا في الزاوية الفلانية لوجدوا ذلك مع آثار ووثائق تهمهم...

وإنه مر بالأزهر في مصر وأخفى نسخة من كتاب الله في أحد جدرانه في الجهة الفلانية وعلق على الآية (٥١) من سورة سبأ بقوله: إني محمد بن الحسن

العسكري التاسع من ذرية الحسين عليه السلام أن هذه الآية كما تذكر ا لروايات عن جدي النبي صلى الله عليه وآله تشير إلى جيش يخسف به في البيداء يتحرك نحو المدينة ضدي يوم كذا وشهر كذا وسنة كذا.

وإنه مر بمدينة قم والنجف ووضع في مكان كذا وكذا نسخة من كتاب الشيخ الصدوق المفقود الذي يحمل اسم مدينة العلم، والذي يعرف خبره كل علماء الشيعة وأنه كتب في مواضع معينة تعليقات يشير إليها ومنها قوله: إني.... سوف يأذن لي الله بالظهور يوم كذا وشهر كذا وسنة كذا.

وفي كل ذلك يطلب أن ينقل التنقيب ونتائجه مباشرة من قبل وسائل الإعلام والفضائيات وأنه حين يتبين صدق ما أخبر به فعليهم أن يتبعوه وإن تبين خلاف ذلك فانه كاف لسقوطه من أعين شعبه في الحجاز وفي الدنيا.

ليس من شك أن خطابا كهذا سوف يثير كل من سمعه وسوف يثير الفكر والفضول بأعلى مستوياته.

وليس من شك أن أولى القضايا التي يتابعها الناس هي إخباره عن تعطيل الطائرات والصواريخ

في الدنيا، وحين يجد الناس صدق ذلك يدرك الناس أنهم أمام إنسان خارق تنهار عنده أسطورة تكنولوجيا الغرب في القوة العسكرية وتكون الصدمة الأولى للعقل البشري.

وليس من شك أن الطلب بالتنقيبات أسلوب علمي يدرك علميته وحقانيته كل إنسان مهما كان مستواه الثقافي فضلا عن الخبراء بالآثار، وحين تبدأ التنقيبات في الأماكن التي حددها البيان ويجدون ما أخبر عنه تفصيلا فإن صدمة حقيقية أخرى سوف تكون وليست الصدمة فقط بنتائج التنقيب المذهلة بل الصدمة أيضا بيقينهم أن الرجل الذي يخاطبهم وهو يفيض حيوية هو إنسان ابن ألف ومائتي سنة.

وهكذا سوف يبطل انبهار الإنسان بتكنولجيا الغرب وعلومه ويستقطب المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف الشاب المعمر كل إنسان ليبهره بظاهرته الفريدة هذه الظاهرة التي سوف توقظ لديه الفطرة والإحساس بعالم الغيب وما وراء الطبيعة لا على أساس أخبار مشوهة بل على أساس واقع حسي ملموس وبعدها ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ الأنفال/ ٤٢.

وهكذا يتضح ان لعقيدة الشيعة بالعمر الطويل

مع الشباب الدائم للمهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف موضوعية في حركته الرسالية فهي تحرر العقل البشري من الانبهار بالتكنولوجيا المقرونة بالباطل نظير معجزات الأنبياء عليهم السلام ليتخذ الإنسان بعد ذلك موقفه بحرية، وتحقيق هذا الأثر العظيم لعمر المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف الطويل وشبابه الدائم يتوقف على يقين الغرب والعالم المغترب بحقيقة عمر المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

قد يقول قائل ان وسائل الإثبات متروكة لطبيعة الواقع في عصر الظهور ونحن لا نملك ان نقدر ما هي الوسائل المستخدمة في ذلك الزمن لمعرفة عمر الاشياء قد يظهر علم جديد ليس من سنخ علم الآثار وعلم التقويم ويستخدمه المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف آنذاك أو يتوصل علم الآثار وعلم التقويم إلى وسائل جديدة غير ما نعلمه فعلاً.

أما بالنسبة للقول الأخير فإن تطور الوسائل لا يخرجها عن العلم نفسه، وسؤالنا كان هل سيستخدم وسائل اثبات عمر الاشياء في علم الاثار وعلم التقويم؟

اما احتمال ان ينشأ علم آخر ليس من سنخ علم الاثار وعلم التقويم، وهو ما نستبعده للأمور التالية:

١. ان المطلوب هو إثبات عمر المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف بالوسائل المادية التي يثق بها الناس وهي مهمة علم الآثار وعلم التقويم.

٢. ان المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف كما ورد في الأخبار يظهر جملة من آثار الأئمة والأنبياء عليهم السلام فهو يظهر كتب علي عليه السلام التي كتبها علي عليه السلام بخطه وأملاها عليه رسول الله صلى الله عليه وآله، كالجامعة وغيرها كما يظهر سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله وعصا موسى عليه السلام وتوراته بالخط السامري وأسفار الأنبياء عليهم السلام من بعده بالخط العبري وإنجيل عيسى عليه السلام بالخط العبري واللسان الآرامي، وصحف إبراهيم عليه السلام باللسان الأكدي والخط المسماري، وصحف زردشت بالخط المسماري أو بالخط الاوستائي واللغة الفارسية القديمة.

وهذه الآثار سوف تواجه المشكلة نفسها وهي إثبات كونها الوثيقة الأصلية التي ترجع إلى ذلك الزمن، وهي من مهمة علم الآثار وعلم التقويم. اضف إلى ذلك ان النسخ الأصلية بعضها كصحف إبراهيم عليه السلام تنحصر قراءتها عن طريق ما انجزه فرع المسماريات من علم الآثار وتوراة موسى عليه السلام تنحصر قراءتها بفرع الوثائق اليهودية القديمة من علم الآثار وهكذا.

اذن من الطبيعي جداً ان يلجأ المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف إلى وسائل علم الآثار وعلم التقويم وغيرها من العلوم ذات العلاقة التي تكون قد بلغت النضج الكامل في عصر الظهور مضافا إلى انتشار حقائقها وتيسرها لدى الناس.

وإذا كان المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف يختط هذه الطريق لإثبات عمره فلابد ان يستفيد من الزمن المبكر لغيبته وبخاصة وقد ورث عن آبائه عليهم السلام التخطيط الكامل لحركة الأئمة عليهم السلام ودوره التفصيلي فيها وعلم ماكان ومايكون إلى قيام الساعة مضافاً على علم الأحكام.

فليس من المستبعد ان يسافر المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف في فترات زمنية قديمة إلى أنحاء مختلفة من العالم ويكتب أموراً معينة بالخط العربي أو خطوط أخرى يعرفها ويضعها في ذلك المكان الذي يقدر انه سيكون في المستقبل من الأطلال الأثرية المهمة، ثم يخبر عند ظهوره عن هذه الأماكن ويحفز الآثاريين للحفر في تلك الأطلال، ليعلموا صدقا بأنه مرَّ في ذلك المكان بالوقت الذي اخبر عنه، وقد يضاف إليه انه مر به في عدة أدوار حضارية وطبقات بنائية، بحيث لو كان في الموقع الأثري عشرة أدوار مثلا وكان قد وضع

في دورين متفاوتين أثراً من آثاره الخاصة التي تحمل بصماته.

أ. إن ابرز نتائج هذه الصدمة هو زوال الانبهار بالعلوم التجريبية، وانكسار هيبتها المصطنعة وزعزعة الثقة المطلقة بها ويعني هذا تحرير العقل الغربي من طاغوت سيطر عليه افقده الحرية في التفكير.

ب. تجريد العلمانية من قناعها الذي قنعها بها دعاتها والمروجون لها. وإذا هي لا تعدو عن كونها أفكاراً وتصورات مرجعها في افضل حالاتها ما جربه الإنسان وخبره من الاعتبارات، وأين هذا من حقائق العلم ومع ذلك كانت عاجزة أمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

إن العلمانية كانت في حقيقتها تأليه الإنسان وكان الإنسان يُقَنِّع ألوهيته بالعلم والإنجارات العلمية، فلما سقط القناع بدا الإنسان على حقيقته ضعيفا عاجزاً.

ج. تحول الثقة المطلقة بالمهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف نفسه فيما يخبر عن قضايا الواقع التاريخية التي عاصرها، أو القضايا التي يملك وثائقها الأصلية، بل وحتى آراءه الشخصية وتقديراته للأمور.

وهنا سوف يفكر العالم بحرية حقيقية فيما يدعيه المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وفيما يطرحه من تصورات عن حركة النبوات ووثائقها الأصلية منذ زمن نوح عليه السلام مرورا بابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ومحمد صلى الله عليه وآله.

وحينئذ من شاء ان يتبع المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف تبعه على بينة، ومن شاء ان لا يصدقه ويبقى على علمانيته وتأليه الإنسان فسيتبع طرفا محطماً ضعيفا عاجزاً.

ونحن نحتمل جداً ان يصدقه عدد كبير من الغربيين المستضعفين الذين يجدون في المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف منقذاً لهم ومحرراً، يجدون فيما يقدمه عن المسيح عليه السلام من معلومات جديدة تجعلهم يتشوقون إلى لقيا المسيح عليه السلام الذي شوهت تعاليمه وحياته الكلية بما افتعلته من حوادث لم تقع واحاديث لم يقلها المسيح عليه السلام، المسيح الذي جلى صورته المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وحببه إلى الناس من جديد.

كيف تصون العقيدة بالمهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف الشيعة في عصر الغيبة من الانبهار بالغرب؟

الانبهار حالة إعجاب متزايد تحصل لدى الإنسان عند مواجهته أمراً جديداً معنوياً كان أم

ماديا له ارتباط وثيق بناحية أو اكثر من نواحي الحياة الإنسانية تنتهي بالغلو التي هي حالة الإعجاب المستحكمة في الإنسان المقترنة بالانحراف في التقييم المبهور، يتعرض الإنسان في حالة الانبهار لفقدان الحرية في التفكير لغلبة الأمر الجديد على مشاعره وإحساساته.

أما في حالة الغلو فيفقدها تماماً أي يصبح فكره أسيراً لذلك الشيء الجديد لا ينظر ولا يعقل إلا من خلاله، هنا يتعطل قلب الإنسان وسمعه وبصره عن إدراك الأمور الأخرى المخالفة للشيء المبهر والمغالي به ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِها وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِها وَلَهُمْ آذانٌ لا يَسْمَعُونَ بِها﴾ الأعراف/ ١٧٩ ﴿وَقالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ ما كُنَّا فِي أَصْحابِ السَّعِيرِ﴾ الملك/ ١٠.

ومع هذه الحالة يفقد الحوار الفكري فائدته المرجوة وهي تغيير القناعات: لان الإنسان المبهور أو المغالي لا يدرك ما يقوله الطرف المخالف له ﴿قالُوا يا شُعَيْبُ ما نَفْقَهُ كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ﴾ ومن المفيد جداً ان نتوسع في شرح هذه المسألة المهمة في حياة الإنسان مسألة تعطل جهازه المعرفي (الدماغ والحواس) عن الإدراك الحيادي للواقع و إدراك الواقع كما هو دون تهذيبه وتعديله.

في الأصل حين يولد الإنسان سوياً في تكوينه الجسمي وينمو سوياً تعمل أجهزته بصورة طبيعية ومنها جهاز المعرفة فيه (الدماغ والحواس) وتكون وظيفته الطبيعية إدراك الواقع الموضوعي كما هو مع ملاحظة محدودية الحواس في استقبال كل ما ينطوي عليه الواقع من مثيرات ومنبهات، فالإذن كأداة لاستقبال الأصوات قاصرة عن استقبال الموجة الصوتية التي يقل ترددها عن ٢٠ ذبذبة في الثانية وتزيد عن عشرين ألف ذبذبة في الثانية، وهكذا العين قاصرة عن استقبال الصور التي تبعد عن الإنسان بمسافات كبيرة أو حين يكون الشيء صغيراً جداً، وقد استطاع الإنسان بفضل التطور الصناعي ان يوسع من مدى السمع والأبصار من خلال الأجهزة السمعية والبصرية الجديدة.

وفي الإنسان استعداد لأن يفقد هذه الحيادية والموضوعية للإدراك بسبب الألفة التي تفرضها عليه المدركات نفسها، وهذا ما أثبتته التجارب العلمية الحديثة وتحدث عنه الغربيون أنفسهم، يقول جان فوراستيه المفكر الفرنسي في كتابه معايير التفكير العلمي ص ٨١:

«في المرة الأولى التي سافرت فيها إلى أميركا وجدت انهم يبيعون الحليب في زوايا الشوارع وكنت ادخل إلى البقاليات واسأل طالبا (حليبا من فضلك) فلم يكن البائع ليفهمني كان يُعطني تارة عصير البندورة وأخرى شي آخر فكنت أصر واكرر (حليب) (حليب) (Milk) جاهداً ان احسن اللفظ، وكان الرجل بعد ان يمعن في النظر بانتباه واستخفاف يخلص إلى الجواب (آه. حليب) ويأتيني أخيرا بالقدح المطلوب...

ولم أستخلص من هذه التجربة أي دلالة عامة حتى الفترة التي رويت لي فيها القصة التالية في باريس من قبل أمريكي، أنها معكوسة عن الأولى قال لي: (الحال جيدة بالنسبة إلي هنا وأنا أتعلم قليلا اللغة الفرنسية، لكن هناك شيء لا أتوصل إلى فهمه، فانا اقطن في (غاش) (وكان يريدان يقول) (غارش) في ضاحية باريس، وغالبا جداً اضطر إلى العودة إلى بيتي بسيارة أجرة وعندئذ اطلب إلى السائق قائلا (الى غاش) لكنه لا يفهمني، واكرر الطلب بكل طبقات الصوت والنبرات: غاش، غاش... لكنه يستغرق وقتاً طويلاً في الفهم.. وغالبا، اضطر إلى تحديد

غاش على الخريطة.. وأخيرا عند ما ينتهي الأمر بالسائق إلى فهمي يجيبني: (آه، غاش! كان يجب ان تقول ذلك من قبل!) (من الطبيعي ان السائق قال غارش وليس غاش لكن الأمريكي لم يسمع الراء تلفظ).

فهناك إذن أصوات في العالم المحسوس لا يستطيع بعض الناس سماعها، وهناك كذلك أشياء في العالم المحسوس لا يستطيع الناس رؤيتها، ان هذا يبدو غريباً؛ لأنه في الكثير الغالب ما يفكر الإنسان عند ما يكون على خلاف في الرأي مع آخر حول تحديد واقعة ما: (ان مخالفي ليس حسن النية) لكن حسن النية ليست موضع بحث في قضية (الحليب) و (غارش) هذه ان الأمر اكثر خطورة.

فالدماغ البشري وجهازه في مركز الحواس يتخير الأصوات وهناك أصوات يتقبلها، أصوات من العالم الواقعي، لكن هناك أصواتا أخرى لا يتوصل إلى إدراكها، وهذه الأصوات الأخرى حقائق من العالم المحسوس، ان الأحداث كلها مادية محسوسة، لكن الدماغ البشري يتخير بينها وهناك بعضها لا يدخل مركز الحواس، فسائق

السيارة يقول (غارش) لكن الأمريكي يسمع (غاش)، والأمريكي يقول (حليب) (Milk) وفق نبرة معينة لكنني لا اسمع تلك النبرة المعينة، وسواء قلت (غاش) أم (غارش) فان الأمريكي سيسمع (غاش) مع انه يعرف جيداً ان (غارش) تكتب بالراء، لكن الراء الأمريكية لها صوت اكثر جموداً من الراء الفرنسية، والأمريكي الذي لم يسمع قط صوتا مماثلاً للراء الفرنسية لا يسمع صوت الراء الفرنسية حتى ولو حركت أمامه بوضوح، كذلك لا اسمع انا الياء الأمريكية في (حليب) حتى ولا ريب لو حركها عامل البقالة أمامي».[1]

وإذا كان هذا القانون مثبتاً فيما يتعلق بالأحاسيس الأولية فهو بالأحرى مثبت في الإنشاءات العقلية، وأنها لتجربة مدرسية ان تُقرئ نصا واحداً في علم السياسة مثلا ماركسيا ممارساً ورجلا آخر لا يهتم بالماركسية وان تسألهما تلخيص النص كتابياً (تلخيصه موضوعيا دون تعليق)، ستلمس ان

(١) يشير المؤلف في هامش ص ٨٣ إلى مذكرات المواصلات السلكية تموز- آب ١٩٥٤ لألفرد تومائيس ودراسته (العلاقة بين أحداث الصوت والسماع).

الملخصين مختلفون جد الاختلاف، فالأفكار التي بدت وجيهة ليست نفسها لدى الشخصين ثم تباغت كلاً منهما بعدئذ بأن فكرة مغفلة في ملخصه موجودة فعلا في النص.

وعندما نمر على صعيد التركيبات والأحكام العامة والمذاهب فان ظاهرة انتقاء الواقع تتسع، وهي تفسِّر التباعدات المزمنة عند الناس في الآراء وفي الأفعال سواء فيما يتعلق بالحياة اليومية الخاصة للأفراد أو بالتوجيه السياسي للأمم.[1]

أقول: ولئن كانت حالة الدماغ والحواس كذلك في الأحوال الطبيعية فان ظاهرة الانتقاء أو الإغفال لدى الدماغ والحواس تبلغ ذروتها فيما يكون الإنسان مبهوراً ومغالياً بفكرة ما أو بشيء ما.

وفي النصوص الإسلامية ما يشير إلى الحقيقة الآنفة الذكر: ففي القرآن غير ما اشرنا إليه قوله تعالى ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ يوسف/ ٣٠.

وفي التفسير عن الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى ﴿قَدْ

(١) معايير التفكير العلمي: ص٨٤.

شَغَفَها حُبًّا﴾ يقول: «قد حجبها حبه عن الناس فلا تعقل غيره».[1]

وفي الحديث المنسوب إلى النبي ﷺ «حبك للشيء يعمي ويصم».[2]

وعن الإمام علي عليه السلام: «من عشق شيئاً أعشى بصره ومرض قلبه فهو ينظر بعين غير صحيحة ويسمع بإذن غير سميعة».[3]

وعنه عليه السلام أيضا: «الأماني تعمي أعين البصائر»[4].

ان الانبهار بالشيء الجديد حالة طبيعية في كثير من الأحيان وهي سرعان ما تزول بسبب الألفة والعادة، وعدم ارتباطه بالسياسة والحكم، وفي أحيان أخرى يتعمق ويتحول إلى (غلو) بجهد يبذل وتخطيط يوضع من قبل الحاكم وأجهزته أو فئة سياسية تريد ان تصل إلى الحكم تجد في الانبهار مدخلاً جيداً لنشر أفكارها وفي الغلو أحكاماً لهذا المدخل.

ونحن حين ندرس الحالة النفسية والعلمية

---

(١) الحويزي، نور الثقلين: ج٢/ ص٤٢٣.
(٢) المجلسي، بحار الأنوار: ج٧٧/ ص١٦٤.
(٣) نهج البلاغة خطبة ١٠٩.
(٤) نهج البلاغة قصار الحكم ٢٧٥.

للغرب قبل انفتاحه على النهج التجريبي وانبهاره بنتائجه نجده مهيئاً لذلك من خلال الأجواء الفكرية المنحرفة والعقائد السقيمة التي فرضتها الكنيسة على المجتمع آنذاك والمفارقات الاجتماعية الضخمة من غنى فاحش إلى جنب فقر مدقع وقسوة بالغة إلى جنب بساطة وسذاجة متناهية ومكر و خداع محاط بتقوى وورع ظاهر بين هذه الأجواء المخالفة للفطرة التي تأبى الظلم والانحراف كحالة دائمة وسنة ثابتة.

ان وضعاً كهذا عاش إنسانه لقرون طويلة حالة التخلف الفكري المقصود من حاكمية وتوجيه يتوقع له ان ينفلت من إطار الكنيسة المسيحية البالية ويثور عليها وان ينبهر بدرجة عالية المعلومات الجديدة عن الطبيعة التي كشف عنها النهج الجديد النهج التجريبي وبالاختراعات التي نقلته إلى أجواء حياتية جديدة، ويتوقع له أيضا.

ان يقع ضحية مرة أخرى لدعاة الانحراف والأهواء حين خططوا ان يستغلوا حالة الانبهار والغلو لتبرير حالة الانحراف الجديد حالة تأليه الإنسان في المجتمع عبر شعارات الوطنية والأمة والطبقة العاملة وغير ذلك.

ان غياب الفكر الديني الصحيح واستغلال علماء السوء بساطة الناس وجهلهم بالحقائق ونزوعهم الفطري نحو الإيمان والتدين لتبرير حالة الظلم من الحكام والوقوف بشدة أمام حرية الفكر لدى الإنسان كل ذلك كان وراء الانبهار والغلو والانحراف لدى الغرب.

كما ان سلاح الغرب اليوم لترويج أفكاره هو الانبهار بمعلوماته وصناعاته، والشعوب المتخلفة في الفكر والصناعة مهيأة للانبهار ومن ثم مهيأة للتأثر بالانحراف الغربي.

أما الكيان الشيعي الذي قام على أساس ما ذكرناه في بدء الحديث وكونه يحمل ليس فقط الفكر الديني الصحيح، بل الفكر الديني الوارث لحركة النبوة من خلال القرآن وعلى الأحاديث النبوية الصحيحة الوارثة لحركة الأئمة عليهم السلام الفكرية الكيان الذي آمن بالأئمة عليهم السلام الذين كانوا متفردين ومتميزين في مواقفهم ونشاطاتهم الذين ختموا مسيرتهم المتميزة بظاهرة الإمامة المبكرة الظاهرة المحسوسة الخارقة للعادة الظاهرة التي تفرض على الناس الذين انفتحوا عليها ان يدوم انبهارهم بها، وهذا الكيان

سيكون في مأمن من الانبهار بالحضارة الغربية وكشوفاتهاوإنجازاتها.

مركز فجر عاشوراء الثقافي

التابع للعتبة الحسينية المقدسة

fajrashura.com